

## دروس تربوية من خلال وصايا لقمان الحكيم



يتضمن القرآن الكريم مجموعة من الحوارات الراقية بين الآباء والأولاد، وبين الأولاد والآباء، تحمل في طياتها حكماً عظيمة وأساليب مؤثرة في تربية الأولاد تربية صحيحة متوازنة، ومن هذه الحوارات والوصايا: وصايا لقمان الحكيم لابنه حيث تتضمن الوسائل الصحيحة المؤثرة المفيدة في تربية الأولاد التي نحاول عرضها في هذه المقالة بصورة موجزة حيث يقول عـ تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنَّ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّمَا يَغْنِي عَنْهُ دُنْدُنْيَهُ \* وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لَابْنِهِ وَهُوَ يَعْظِمُهُ يَا بُنْدَنِي لَا تُشْرِكْ بِرَبِّكَ إِنَّ الشَّرِكَ لَظُلْطُمٌ عَظِيمٌ \* وَوَصَّيْنَا إِلَيْنَاسَانَ بِرُوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهُنَّا عَلَى وَهُنَّا فِي عَامَيْنَ أَنَّ اشْكُرْ لِرَبِّهِ وَالِدَيْكَ إِلَيْهِ الْمَصَبِيرُ \* وَإِنْ جَاهَدَكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِرِبِّكَ لَيْسَ لَكَ وَلِرَبِّكَ يُكَلِّبُ إِلَيْهِ الْمَصَبِيرُ \* وَإِنْ جَاهَدَكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِرِبِّكَ لَيْسَ لَكَ بِهِ عَلَمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهِمَا فِي الدُّرُزِيَّا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَرَيْتَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ فَأَمُّنْزَبَ شُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* يَا بُنْدَنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاءِ وَأَوْ فِي الأَرْضِ يَا بُنْدَنِي إِنَّ لَطِيفُ خَبَدِيرُ \* يَا بُنْدَنِي أَقْرَمَ الصَّلَةَ وَأَمْرُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَازْهَعَنَ الْمُنْكَرِ وَاصْبَرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ \* وَلَا تُصَعِّرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْسِشْ فِي الْأَرْضِ مَرْحَدًا إِنَّ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورِ \* وَاقْصِدْ فِي مَشْبِكَ وَاغْضُهُ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَرْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتِ الْحَمَبِيرِ) (لقمان/ 12-19).

أولاً: إن عـ تعالى أراد أن يبيـن أنـه قد أعطى الحكمـة للقـمان، ومن هـنا فـكلـ ما يقولـه في هـذا الصـدد حـكمـة ولـذلك سـجـلـ عـ تعالى تلكـ الوـصـايا وـخـلاـدهـا فيـ القـرـآنـ الـكـريمـ، فالـحـكمـةـ هيـ العـقـلـ وـالـفـطـنةـ

والعلم مع الإصابة في القول، وقال بعض العلماء: هي وضع الشيء المناسب في المكان المناسب، ولا يختلف هذا التفسير عن التفسير السابق، فالحكمة هي العلوم النافعة، والتجارب الناجحة التي ترتب عليها الخير الكثير للإنسانية. ولقمان كما في كُتُب التفاسير هو لقمان بن ياعور ابن أخت أيوب، أو ابن خالته، كان من سودان مصر من النوبة، وعاش، حتى أدرك النبي ﷺ داود فأخذ منه العلم وأتاه ﷺ الحكمة، ولم يكن النبي ﷺ عند الجمهور وقال ابن عمر عنهم: سمعت النبي ﷺ (ص) يقول: «لم يكن لقمان نبيّاً، ولكن كان عبداً كثیر التفكير، وحسن اليقين، أحبه ﷺ فأحبه، فمنه عليه بالحكمة، وخيّره في أن يجعله خليفة يحكم بالحق»، فقال: رب إن خيّرتني قبلت العافية وترك البلاء، وإن عزّمت على فسمعاً وطاعة فإنك ستعصمني، واخرج الحكيم الترمذی في نوادر الأصول عن أبي مسلم الخولاني، قال، قال رسول ﷺ (ص): «إن لقمان كان عبداً كثیر التفكير، حسن الظن، كثیر الصمت، أحبه ﷺ فأحبه ﷺ تعالى، فمنه عليه بالحكمة. نودي بالخلافة قبل داود (ع)، فقيل له يا لقمان، هل لك أن يجعلك ﷺ خليفة تحكم بين الناس بالحق؟ قال لقمان: إن أجريني ربّي عزّوجلّ قبلت، فإنّي أعلم أنّه إن فعل ذلك أعا نني وعلّمني وعصمني، وإن خيرني ربّي قبلت العافية ولا أسأل البلاء، فقالت الملائكة: يا لقمان لم؟ قال: لأنّ الحاكم بأشد المنازل وأكدرها، يغشاه الظلم من كلّ مكان، فيخذل أو يُعنّ، فإنّ أصاب فالحربي أن ينجو، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنّة، وممّن يكون في الدّنيا ذليلاً خير من أن يكون شريفاً ضئلاً، وممّن يختار الدّنيا على الآخرة فاتته الدّنيا ولا يصير إلى ملك الآخرة. فعجبت الملائكة من حسن منطقه، فنام نومة فغط بالحكمة غطاً، فانتبه فتكلّم بها، وكان لقمان قاضياً فيبني إسرائيل، نوبياً أسود مشقق الرجلين ذا مشافر، قاله سعيد ابن المسيب، ومحاده، وابن عباس، وقال له رجل كان قد روى معه الغنم: ما بلغك يا لقمان ما أرى؟ قال: «صدق الحديث والصمت عمّا لا يعنيني»، وقال ابن المسيب: كان من سودان مصر، من النوبة، وقال خالد بن الربيع: كان نجارةً، وقيل: كان خياطاً، وقيل: كان راعياً. وحكم لقمان كثيرةً مأثورة، قيل له: أي الناس شرّ؟ قال: «الذى لا يبالى إذا رأه الناس مسيئاً» (تفسير ابن عطية 489 - 490/11).

والحكمة في أن ﷺ تعالى قال قبل ذكر سرد الوصايا: (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) هي بيان أن هذه الوصايا مركبة من قبل ﷺ تعالى وأنّها ترجع إلى مشكاة نور ﷺ تعالى. ويستفاد من هذه الآية من الجانب التربوي ما يأتي:

أ - ضرورة التعريف بالمربي قبل أن يبدأ بال التربية، وأن يكون مركّبًا حتى تكون التربية مؤثرة، وحتى يكون المتربيون على علم بمرتبة مربّيهم ومعلميهم، لأنّ ذلك دوراً نفسياً كبيراً في نفوسهم.

ب - ضرورة اختيار الشخص المركّب للتربية، وليس أي شخص، فال مهمّة صعبة وخطيرة وكبيرة، وهنا تلقى مسؤولية عظيمة على الآباء وأولياء الأمور ولجان وزارات التربية في اختيار المربيين والمعلّمين حيث يتحمّلون مسؤولية عظيمة أمام ﷺ تعالى وأمام هؤلاء الأطفال والتلاميذ إذا لم يبذلوا جهوداً عظيمة لاختيار والانتقاء، بل لا ينبغي لهم الاختيار إلا بعد البحث والتزكية من قبل الثّقفات.

ج - ضرورة تعظيم المربي في نفوس المتربيين، والنظرية إليهم نظرة تقدير واحترام من خلال تقديمه من قبل الوالد، أوولي الأمر، أو مسؤولي وزارة التربية والتعليم، وذلك بأن يقدّم المربي إلى المتربيين بشكل يستشعر فيه المتربيون والمتعلّمون بأنّ مربّيهم لهم مكانة عظيمة وأنّه كذا وكذا.

وهذه النظرية من المتربي أو المتعلّم إلى المربي لها دور كبير في قبول وصياغة وتقدير نصائحه، واحترام أقواله وآرائه، وهي تقتضي أن تعطي للمربّين والمدرسين والمعلّمين مكانة لائقه بهم أدبياً ومعنىًّا ومادّياً، وأن لا ينظر إلى الجانب الاقتصادي في اختيار المربيين في حيث لا تكون النظرة قاصرة على التوفير، بل ينظر إلى أنّ المربي أو المعلم الذي أعطيت له مكانته اللائقه يكون له التأثير على المتربيين أكثر من غيره.

ثانياً: قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لَابْنِهِ وَهُوَ يَعْظُهُ) يدل على ضرورة أن يجلس الأب مع ابنه دائمًا أو كثيراً للوعظ والتوجيه والتربية، ذلك أنّ جملة (وَهُوَ يَعْظُهُ) جملة اسمية تدل على الثبوت والدّوام والاستقرار وهي جملة حالية عن «لقمان» الوالد.

ومن جانب آخر إنَّ الطريق إلى التربية والتوجيه والتقويم يمرُّ عبر الوعظ ووسائله المشوقة ووسائل الترغيب، والثواب والعقاب. والتعبير القرآني يدلُّ على إعطاء أولوية كبيرة للجلوس مع الأولاد ذكوراً وإناثاً للوعظ والنصح والتربيَّة، فهي مهمَّة ليست سهلة، وهي تستحق كلَّ العناية والاهتمام، لأنَّها تتعلَّق ببناء الإنسان، وبناء الجيل القادم، وبناء القيادة للأمَّة.

ثالثاً: قوله تعالى حكاية عن لقمان: (يَا بُنْدَيْـ) يدلُّ أنَّه على المربيِّ أن يختار الألفاظ المحببة والمشوقة لدى المتربيِّ، وأن يشعره بأنَّه يحبُّه، وأنَّه لا ينصحه إلا من باب حبه الكبير، وأنَّه حتى لو تشدَّد معه فهو كالطبيب المعالج الذي تقتضي مصلحة مريضه أن يقوم باللازم، حيث استعمل القرآن الكريم في البداية لفظ (يَا بُنْدَيْـ) الذي كما يقول العلماء يدل على نداء المحبة والإشراق وأنَّ تغيير (بني) للتحدب ولبيان زيادة الحبِّ والاعطف. ومن هنا فعلى المربيِّين والمعلميين حتى ولو كانوا آباء للمتربيِّين أن لا يستعملوا الألفاظ الحارحة، أو حتى الألفاظ العادية، بل يتذمرون في استعمال الكلمات الجميلة الراقية التي تدلُّ على الاحترام والمحبة والإشراق.

رابعاً: استعمال الأشياء المفهومة للأولاد، والألفاظ الواضحة، وبعبارة أُخرى أن يكون خطابهم باللغة التي يفهمونها هم وليس بلغة الكبار، وهذا ما فعله سيِّدنا لقمان في وعظه لابنه حينما تحدث عن الأصوات المرتفعة الكريهة شبهها بأصوات الحمير، وذلك لأنَّ أصوات الحمير مفهومة جدًا للأطفال وكريهة كذلك ومزعجة، فاستعمل وسيلة التقبیح المفهومة لديهم، وكذلك حينما نصحه بأن لا يشرك به تعالى ذكره بأنَّ الشَّرِك لظلم عظيم، والظلم مفهوم بالفطرة ومستقبح لدى الجميع، ثمَّ بيَّن بأنَّ الشَّرِك ليس ظلماً عادياً بل هو ظلم عظيم، وذلك لأنَّ الظلم اعتداء على الحقوق، وتجاوز عن الحدود، وصرف الحق عن أهله، وأنَّ الشَّرِك هو اعتداء على حقِّ الخالق، ومساواة طالمة بين المخلوق والخالق، وإعطاء حق العبادة للشريك الذي لا يستحقُّها، وإخضاع للنفس الإنسانية المكرمة لعبادة الخسيس، بدل الخصوص لخالقها وباريها.

خامساً: عدم الاكتفاء بسرد الأشياء المجردة عن أدলتها وحكمها وأسبابها، وعن التعليل والبيان حيث لم يكتفَ لقمان الحكيم بمجرد النهي، بل بين السبب وأوضح العلة وشرح الحكمة، فقال: (لَا تُشْرِكْ بِإِنَّـ الشَّرِكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)، وقال أيضاً: (يَا بُنْدَيْـ أَقْرِمِ الْمَلَائِكَةَ وَأَمْرِ بِـإِنَّـ الشَّرِكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ عَنِ الْمُنْذُكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَـ)، ثمَّ علل ذلك بقوله: (إِنَّـ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)، وقال أيضاً: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلْنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحَّـاً)، ثمَّ بيَّن السبب بقوله: (إِنَّـ لَا يُحِبُّ كُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍـ)، وقال: (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُصْ مِنْ صَوْتِكَـ)، ثمَّ علل ذلك بقوله: (إِنَّـ أَرْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتِ الْحَمَّـيـرِـ).

وهذا منهج تربوي رصين قوي يدل على أنَّه يعطي القيمة لعقول الأولاد والمتربيِّين والتلاميذ حيث لا يفرض عليهم المعلومات، بل تشرح لهم مع أسبابها وحكمها، فيكون ذلك أدعى للقبول.

سادساً: البحث الحاد عن وسائل الإقناع: ويدل ما ذكرناه في البند الخامس على أنَّ سيِّدنا لقمان الحكيم استعمل وسائل الإقناع بشكل واضح حيث لم ينه عن الشَّرِك، لأنَّه شَرِك، بل أوضح ما يقنع ابنه بأنَّ الشَّرِك أمر قبيح مكره غير مقبول، لأنَّه ظلم عظيم، والفطرة السليمة تأبى الظلم والضيم، وكذلك نهاده عن التكبر، ثمَّ استعمل وسيلة الإقناع من خلال أنَّه تعالى لا يحبُّ كلَّ مختال فخور، بل إنَّ كلَّ إنسان عاقل لا يحبُّ المختالين، وكذلك حينما نهاده عن القصد والتوسط في المشي والصوت، استعمل وسيلة مقنعة واضحة وهي أنَّ أنكر الأصوات لصوت الحمير.

وقد يرى من ذلك أنَّ استعمال وسائل الإقناع ضروري للمربِّين والمعلميين، وإنَّ هذه الوسائل ليست محصورة فيما ذكر، بل هي متنوَّعة تشمل الوسائل العقلية، والعاطفية والماديَّة، وكلَّ الوسائل المعاصرة ولكن مع ملاحظة عقول هؤلاء المتربيِّين.

سابعاً: أن يتدخل مَنْ يُطَاع ويسمع له في شأن التعليم وذلك بأن تتدخل الدولة بالتوجيهات السديدة لصالح التعليم والتربيَّة، وهذا ما يفهم من الآيتين اللتين أصبحتا فاصلتين بين نصائح لقمان وهما

قوله تعالى: (وَوَصَّيْنَا إِلَزَّسَانَ بِرَوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهُنَّا عَلَى وَهُنَّ)  
وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنَ أَنَّ اشْكُرْ لِي وَالِدَيْكَ إِلَيْهِ الْمَصْبِرُ \* وَإِنَّ  
جَاهَدَكَ عَلَى أَنَّ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا  
فِي الدُّرْزِيَّا مَعْرُوفًا وَاتَّبَعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَّ زَابَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ  
فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)، حيث أمر الله تعالى الأولاد بالتزام أوامر ونواهي  
الوالدين في غير المعصية.

ثامناً: التربية عن طريق السؤال والجواب، وانتهاز فرصة حاجة المتربي لذلك، حيث ورد أنَّ ابن لقمان سأله أباه حينما رأى البحر المتلاطم الأمواج فقال: يا أباها: لو وقعت حبة في هذا البحر أعلمها الله تعالى؟ فأجاب لقمان بقوله: (يَا بُنْدَيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاءِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا إِنْ لَطَيْفٌ خَبِيرٌ)، فأجاب إجاية دقيقة فذكر بدل الحبة مثقال حبة من خردل وهي غالية في المبالغة في الصغر، كما ذكر بما يدل عليه بطريق أولى فقال: (يَأْتِ بِهَا إِنْ لَطَيْفٌ خَبِيرٌ)، أي قادر على أن يأتي بها.

ومن الطبيعي جدًا أسئلة الأولاد الكثيرة فلا ينبغي للمربي أن ينزعج منها بل يستفيد منها، ويبني عليها، ومن الجانب النفسي فإن الأطفال يملؤون من العرض والإلقاء فلابد إذن من إيصال المعلومات عن طريق الأسئلة والأجوبة وغيرها من وسائل التسويق.

تاسعاً: التربية عن طريق قاعدي الثواب والعقاب والتخييف، والترغيب والترهيب، حيث تضمّنت الوصايا الأجزية على تلك الأفعال، وما يتربى عليها من ثواب وعقاب وجنة ونار، ومن محبة الناس أو بعضهم أو نحو ذلك، حيث وصف الالتزام بالقيم الأخلاقية والعبادات فإنها من مكارم الأخلاق وعزائم أهل العزم.

عاشرًا: ضرورة الإتيان بالبدائل عند النهي عن أي شيء، حيث بعدما نهى لقمان عن الخلق الذميم من التكبر ونحوه رسم له الخلق الكريم فقال: (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ)، بعدما قال: (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا)، فعلى المربيين أن يوحدو البدائل المقبولة لكل المنهيات المستهجنة، ومن فعل الله تعالى أن ديننا يقوم على ذلك.

أحد عشر: إنَّ الوعظ الذي يقدّمه الوالد، أو المربي ينبغي أن يكون شاملًا لجميع ما يحتاج إليه المتربي من خلال خطَّة زمنية ومن خلال فقه الأوليات، ولذلك شملت وصايا لقمان لابنه الجانب العقدي، والجانب الأخلاقي، والجانب العملي، كما إنَّها راعت فقه الأوليات حيث بدأ الحديث والتركيز على العقيدة الصحيحة، وعلى زرع التقوى والخوف من الله في قلوب المتربيين، ثمَّ التركيز على أداء الصلاة وإنقاذهما، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر، ثمَّ التركيز على الجوانب الأخلاقية القولية والسلوكية، يقول الرازمي في تفسيره (25/150): والذي يظهره وجوده الأوَّل هو أنَّ الإنسان لما كان شريفاً تكون مطالبه شريفة فيكون فواتها خطراً فأقدر الله الإنسان على تحصيلها بالمشي فإنَّه حركة كلامه إليه، والثاني: هو إنَّ الإنسان له ثلاثة أشياء عمل بالجوارح تشاركه فيه الحيوانات، فإنَّه حرفة وسكنون، وقول باللسان ولا يشاركه فيه غيره، وعزم بالقلب وهو لا اطلاع عليه إلا الله، وقد أشار إليه بقوله: (يَا بُنْدَيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاءِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا إِنْ لَطَيْفٌ خَبِيرٌ)، أي أصلح ضميرك فإنَّ الله خبير، بقي الأمران فقال: (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُهُ مِنْ صَوْتِكَ) إشارة إلى التوسط في الأفعال والأقوال، الثالث: هو إنَّ لقمان أراد إرشاد ابنه إلى السداد في الأوصاف الإنسانية والأوصاف التي هي للملك الذي هو أعلى مرتبة منه، والأوصاف التي للحيوان الذي هو أدنى مرتبة منه، فقوله: (وَأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَإِذْهَاءِ الْمُنْكَرِ) إشارة إلى المكارم المختصة بالإنسان دون الملك، فإنَّ الملك لا يأمر مالكاً آخر بشيء ولا ينهاه، وقوله: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلْنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) إشارة إلى المكارم التي هي صفة الملائكة من عدم التكبر، وقوله: (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُهُ مِنْ صَوْتِكَ) إشارة إلى المكارم التي هي صفة الحيوان، ولكن الإنسان يهذب هذه الصفات.

اثنا عشر: بدأ لقمان الحكيم وصيته لابنه بقوله: (يَا بُنْدَيْ لَا تُشْرِكْ بِسَمَاءِ إِنَّ الشَّرِكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) والسبب في البدء بهذا يعود إلى أنّه أولاً واجب على الوالد، وولي الأمر هو غرس العقيدة الصحيحة، فهي الأساس لبناء إيمان الشخص وتصوّراته وأفكاره، ثمّ إنّ لقمان الحكيم بدأ بالنهي عن الشّرك ولم يبدأ معه بالأمر بالإيمان باه تعالي وذلك لأنّ الإيمان باه تعالي متتحقّق لدى الأطفال بحكم الفطرة، ولكن المشكلة هي تحقيق توحيد الألوهية وهذا هو الذي ضلّ فيه كثير من الناس، وأمّا توحيد الربوبية وإثبات الخلق تعالي فهو محل اتفاق أكثر العالمين على مرّ التاريخ، وإنّما ضلّ الناس بسبب الشّرك تعالي سواء كان من الشّرك الأكبر أم الأصغر، قال تعالي: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِسَمَاءِ إِنَّ لَا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) (يوسف/ 106) ولذلك ركّز عليه لقمان.

ثلاثة عشر: التأكيد على غرس المحبّة والشوق، والترغيب والترهيب، والخوف من الله تعالي في قلوب المتربيّين واستشعار رقايتها على الإنسان وعلمه بكلّ الخفايا مهما خفيت فلا تخفي على الله تعالي فقال: (يَا بُنْدَيْ إِنَّهَا) أي الخطايا والذنوب، بل خصال الشرّ والخير والأعمال كلّها (إِنَّهَا) مِنْ قَالَ حَبَّةً مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُونُ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاءِ مَآوَاتٍ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا إِنَّهَا إِنَّ لَطَيْفًا خَبَيرًا)، وهذا مثال ماديّ مفهوم ضرب به حتى يتثبت في قلب ابنه إنّ الذنوب مهما صغرت ومهما حاول صاحبها إخفاءها بكلّ الوسائل الممكنة فإذا زدها لا تخفي على الله تعالي، وحينئذ كن يابني على علم بأنّ الله يعلم كلّ تصرّفاتك ويرى كلّ حركاتك وسكناتك ويأتي بي بكلّ ذنبوك لتشهد عليك في يوم لا ينفع مال ولا بنون، وكذلك يأتي بي بكلّ أعمالك الصالحة فتشفع لك فتكون من الفائزين في ذلك اليوم العظيم، وقد رُوي أنّ ابن لقمان سأله أبوه عن الحبة تقع في مثل البحر، أيعلمها الله؟ فأجابه لقمان بهذا الكلام السابق.

أربعة عشر: تعليم الأطفال والمتربيّين العبادات الأساسية والتأكيد على أدائها، وبالأخمن على إقامة الصلاة، حيث يجسّد ذلك ربطهم بالله تعالي وحمايتهم من الانحراف.

خمسة عشر: تعويidهم في سن مبكرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تترتب عليه عدة نتائج في غاية من الأهميّة منها:

1 - الانطلاق من التعلّم إلى التعليم للغير.

2 - القدرة على المواجهة حيث يدرّب المتربيّ وهو صغير على أن لا يكون سلبياً بل يكون إيجابياً يجهر بدعوته ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

3 - البدء بإكمال الآخرين بعد البدء بإكمال ما عليه من الواجبات، وهذه وظيفة الأنبياء والمصلحين.

4 - بناء الشخصية القوية القادرة على البيان والإفصاح عمّا تريده، فمن الطبيعي أن يكون الشخص الذي يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تكون له القدرة الأدبية، والفصاحة والبيان، أو يعوّد نفسه على ذلك، كما إنّ ممارسة ذلك تؤدي إلى تحقيق هذا الهدف المنشود، والقدرة على مواجهة الأحداث والرجال.

ستة عشر: وصية لقمان لابنه: (وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ) تدل على ضرورة تعويid الأولاد والمتربيّين على تحمل المشاق والمشاكل والمصائب والصبر على النوايب، وعلى كلّ ما يصيب الإنسان بسبب الالتزام بدينه وفي ذلك بناء للشخصية القوية الجلدة التي تستطيع أن تبني، وأن تتحمّل النتائج، كما إنّ فيه دعوة لعدم تعويidهم على الترف والدلال الذي يقتل فيهم روح القوّة والبناء.

سبعة عشر: العناية القصوى بغرس القيم والأخلاق وبالأخلاق قيم السلوك وفنّ التعامل مع الناس من التواضع وعدم التكبر، والتوسط في الأصوات والمشي، فقال: (وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْسِكْ فِي الْأَرْضِ مَرَحَّاً إِنَّ لَا يُحِبُّ كُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ \* وَاقْصِدْ مَشْيِكَ وَاغْصُصْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَزْكَرَ الْأَصْوَاتَ لَصَوْتِ الْجَمِيرِ) حيث تتضمن عدّة

1 - (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلْنَّاسِ)، والمعنى: الميل، والمصعر: ولا تمل خدك للناس كبراً عليهم وإعجاباً، واحتقاراً لهم، قال الشاعر:

وكذا إذا الجبار صعّر خده \*\* أقمنا له من ميله فتقوما

والصعر في الأصل: داء يصيب الإبل في رؤوسها حتى يلف أعناقها ويلوي رؤوسها فيسقط بعد ذلك.

وعلى ضوء ذلك، خصم لقمان وصيتيين من وصاياه للنهي عن الكبر، وفي ذلك دلالة عظيمة على خطورة الكبر من حيث الجانب الديني الذي وردت فيه آيات وأحاديث كثيرة تدلّ على عظم ذنب المتكبرين وسوء عاقبتهم وحرمانهم من الجنّة، وكذلك للكبر دور سلبي خطير في التعلّم، فالمتكبر لا يتعلّم، حيث يمنعه كبره عن العلم إضافة إلى أنّ إله تعالى لا يهدي نور العلم للمتكبرين التجارين، وإذا أعطاهم فإنه استدراج، وعلم غير مبارك.

المصدر: الشرق الأوسط 30 آب، 2003 / الكاتب: أستاذ ورئيس قسم الفقه والأصول – جامعة قطر.